الأهرام

المصدر: القدس العربى
التاريخ : ١١ مايو ٢٠٠٢

تسوية «المهد» ومهد التسوية

عدلي صادق

■ سأمتنع عن التعليق على تسوية كنيسة المهد، أو على صفقتها، التي قررت إبعاد بعض أبنائنا الى خارج وطنهم، لأنني شخصانياً (حسب تعبير المعلم خشبة، الذي تقمّصه الفنان المرحوم محمد رضا) ادركت مبكراً، ومنذ مهد «أوسلو»، أو منذ أن كانت هذه السخيفة المؤذية في مهدها، أن التسليم بحق العدو في الإبعاد، حدث منذ اليوم الأول، أي منذ أن عادت الكشوف بأسماء الذين التمسنا من الدولة العبرية (بعد أن باتت «طرفاً آخر» في أكثر التعبيرات جفاء) السماح بعودتهم الى وطنهم، بعضها بأرقام الموافقة، التي ستكون هي ذاتها، أرقام بطاقات الهوية، وبعضها بلا أرقام، ومع كلمة «مرفوض» في خانة الرقم، مثلما حدث مراراً مع اسم كاتب هذه السطور، حتى دخل في تشرين الاول (اكتوبر) 1998 بشفاعة انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني، بحضور كلينتون، لمداعبة بنود «الميثاق الوطني»، بسيجار كوبي!

* * *

كلما كان يصل كشف أسماء وأرقام، كنا كمن ينتظر بلهفة نتائج «التحليل» لنعرف مدى قدرة «حيواناته» على تلقيح بويضات المعابر والجسور. وظل محسوبكم وكثيرون غيره، أشبه بالعاقرين، كنصيب من عند الله. فكأنما هي القيامة الصغرى للحركة الوطنية الفلسطينية، فلا تزر وازرة وزر أخرى، وكان طريفاً أن يودع أحدنا أحدَنا في لحظة المغادرة الى الوطن: «نشوف وجهك على خير، وعقبال عندك»!

كانت الحالة، بحد ذاتها، تعكس حقائق وإشارات، ذات صلة بمفاهيم ومعان لا حصر لها: هل قررت التسوية أن تفرز خيارنا عن فقوسنا، لتتعامل مع الأول بإيجابية، على أن ترسل اللعنة الى الثاني، توطئة لمطاردته، أو الى دفعه للهجرة الى اسبانيا أو ايطاليا أو بلجيكا أو كندا، أو غيرها؟ هل فقدنا الحق في أن نكون «جسماً» واحداً لحركة وطنية واحدة؟ وكيف يدخل الى الوطن، من أرسلني الى مهمة شائكة، ذات يوم، فيبتني - هو - منزلاً ويستقر ويستمرئ السلطة، ويغب من «السلام» ويتبغدد، بينما أنا أبيع الفجل على قارعة الطريق في مخيم اليرموك، أو أجاهد الحياة والمخابرات العربية، كأنني من بقايا الحرب ونُذرها المشؤومة؟ هل تعمّد مهندسو «أوسلو» أن يرسخوا في أذهان المناضلين، كيف يتبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا، حسب التعبير القرآني الكريم؟

* * *

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الحلاقة على الزيرو، كانت واردة منذ مهد التسوية، ولم تكن في حاجة الى كل مرارات الحصار الطويل الدامي، لكنيسة المهد، ولا لشهداء الحصار، ولا للأجراس الحزينة للكنيسة البهية العتيقة، لكي تُعاد ترجمة تلك «الحلاقة» على شكل إبعاد من الوطن. بل إن إبعاد الشباب، كان مقابل فك القيود، التي أدمت أيدي بيت لحم وأرجلها، أما استبقاء المنفي، كقدر ومصير، لآلاف من المناضلين، في «مهد» التسوية، فلم يجبرنا عليه حصار، ولم تحفزنا عليه أية أجراس حزينة، وكان بمثابة استبقاء بعضنا لبعضنا، في الشتات، بدون ثمن!

إن ترك ألف إنسان - مثلاً - من أصحاب الحق في العودة الى الوطن، أكبر وأفظع من إبعاد عشرين، من أصحاب الحق في البقاء في الوطن. ولا يبرر استبقاء الألف، أو الأكثر من الألف، إبعاد العشرين أو الأقل من العشرين. لكن ما أردنا قوله، هو أن تسوية «المهد» تنسجم مع مهد التسوية، ولا تختلف الأولى عن مقدمات الثانية وروحها. وسيأتي يوم، يتصبب فيه عرق الباحثين، الذين سيُعيِيهم حصر الأضرار التي لحقت بشعبنا من جراء «أوسلو». فقد وضعتنا هذه الصيغة الكارثية، في شروط الخسارة المحققة على كل صعيد. لم يربح منها إلا الفاسدون، ربحهم الخاص والزائل والملاحق باللعنة إن شاء الله!

إن تسوية مسألة كنيسة المهد، فعلت ما قررته «أوسلو» في مهدها: لكل حكاية مسار، وكل شاة معلقة من عرقوبها، الحل في الكنيسة، لا علاقة له بـ«ازمة» اجتياح متكرر لطولكرم. إبعاد الشباب وبقاء الاحتلال، مساران مختلفان. الإستعداد لمهاجمة غزة، هو شأن آخر غير ترك خان يونس هانئة. هذا بعض ما يريد الإسرائيليون تعويدنا عليه، وهذه هي الفلسفة، منذ أيام «التحليل» عندما كان كل منا، ينتظر معرفة قدرة «حيواناته» على تلقيح بويضات المعابر والجسور!

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية